

كاتب الناس



محمد الأصفر
روائي ليبى

ولعل الإسقاط هنا يأتي بنا إلى حلبة الحياة والصراع الجاري فيها بين النقيضين، الخير والشرف، النور والظلام، الموت والحياة.. لقد صور على هذه الحلبة الواقع الآن قرن الحرب الباردة والساخنة. قرن الحروب العالمية والاحتلالات الغادرة والمجاعات. قرن الدم من دون منازع.. قرن الحروب العالمية والإقليمية، الصراع بين السوفييت والأميركان على ثروات العالم.

لقد وجد غاندي نفسه في قلب حلبة الصراع بمغزله الذي سيضمم بقلته وصوفه جراح الإنسان والذي سوف يصنع له من خلال خيوطة ثوبا من الحنان والسلام والدفء.. لكن وجود غاندي في قلب رقعة الألم بمغزله لم يقنع القوى الغاشمة ومجانين الدماء والنار فتم دهسه وسحقه والمروء على جثته الخليلة وحرقة وترميده. فصار رفيعة للفارس ومداسا للفيل ومسخرة للبيادق العرجاء والكسيحة.. وحتى القلاع والوزراء والملوك اقتربوا من غاندي السلام وبخوه وبعقوه وبصقوا عليه وأصدروا أوامره الصارمة بتصفيته فوراً وحرق مغزله حتى لا يتحول إلى شهادة على قبره. والطريف أن هذه اللعبة تقتل غاندي ثم تعيد بعته من جديد وإخراجه من صندوق القطع الميتة وتخبئته في قلب الرقعة والعبث به وقلته. فالجباراة العالمية ما زالت جارية ولم تحسم ولم تنته ولن تنتهي أبداً، مباراة افتتحها الإنسان بجريمة قتل هابيلية أو قابيلية لست متأكد من قتل الآخر الآن.

غاندي الذي وضعه النيهوم في قلب معركة "الشرطي" بمثل الإنسان البسيط المسالم الراجب في العيش بسلاماً، والراجب في التحرك داخل رقعة الحياة بحرية من دون أن يجره أحد سوى ضميره الحليبي الشفاف. لقد قتل غاندي أكثر من مرة، وكلما حاول أن يقاتل مع الظالمين بالتي هي أحسن قوبل بالتي هي أقيح.. قوبل بالقوة الغاشمة.

القوة التي نسميها شعبياً "روموني أو أكسر قرتك" وكيف سيروم ويوافق غاندي على الجرائم والقتل والتدمير.. ومن هنا التقط لنا النيهوم شخصية غاندي ووضعه في رقعة شرطي صيراراتها مشتعلة مصوراً لنا أن الحياة رقعة شرطي تلعب عليها مباراة شرسة يحرك أدوارها أرباب السلطة في هذا العالم على مرأى من الله الذي نقول عنه دائماً إنه يهمل ولا يهتم. لقد تم سحق غاندي وحرق مغزله ونهب عنزته التي ينتج من خلالها شرابه الدافئ يعرق جبينه حيث يقااضها العشب الأخضر وحبيبات الأرز والماء الذي يجمعه لها يومياً بيديه من دون الاستعانة بأي خدم أو موزونين.

قسم النيهوم العالم إلى لوتين ومنج كليهما قطع لعب متساوية وتركها يلعبان ويقفان أمامه ورمى داخل هذا الحميم نرذع الرابع وهو غاندي المنتج شاهد العصر وزراع العصر بورود السلام والمحبة.

قرأت للنيهوم ووجدتني أمام كاتب ليبى كبير لا يسعد إلا أن تقدر بمنجزه الفكري والإبداعي. لقد بذل هذا الكاتب كل دقة في حياته من أجل الإبداع، وكان ذكياً جداً فقد خرج من العمل بالسياسة التي ستحرق إبداعه أو على الأقل ستحوطه إلى صحافي نمطي ممل مبكر، على الرغم من ترحيب السياسة به وحاجته إلى مثل هذه العقول الخليفة للسيرة بها قدماً والرقى بمستوياتها.

لقد فضل الابتعاد عن السياسة كزميله الروائي الكبير إبراهيم الكوني، ووضع كل جهده في تأسيس وإرساء لغة الحوار والنقاش والديمقراطية والمباشرة بعيداً عن أجواء البروباغندا والثرثرة والغوغائية في كل قرأته ومجموعته، محفزاً العقل الجماعي والفردى لكل طالب معرفة. كان لا يمل من النقاش ولا يسخر من عقليته القارئ أو المحاور وسذاجته. فالسذاجة أحياناً تكون أرقى درجات الصدق وأشف حالات الطرة.

كان يتهم عبر الكلمات ليفضح مدلولاتها.. لقد كان مثل "غناوة علم أدبية" زاهرة بالعمق والتكثيف والخيال والخضرة والضوء الإبداعي المبهج المنبثق من شمس خير الكلام ما قل ودل. وكان النيهوم يحترم كل من يتحدث معه ويحترم البدعيين الذين جابلوه أو تعلم منهم. يجلس معهم في مقاهي طرابلس ويستمتع إليهم ويتحاور معهم.

فقد فضل الابتعاد عن السياسة كزميله الروائي الكبير إبراهيم الكوني، ووضع كل جهده في تأسيس وإرساء لغة الحوار والنقاش والديمقراطية والمباشرة بعيداً عن أجواء البروباغندا والثرثرة والغوغائية في كل قرأته ومجموعته، محفزاً العقل الجماعي والفردى لكل طالب معرفة. كان لا يمل من النقاش ولا يسخر من عقليته القارئ أو المحاور وسذاجته. فالسذاجة أحياناً تكون أرقى درجات الصدق وأشف حالات الطرة.



الصادق النيهوم مفكر قرأ الماضي وتنبأ بحريق المستقبل

من يخبر النيهوم أنهم عادوا وسرقوا الجامع

في أرضنا؛ لكنه أيضاً ليس ثمة ضمان واحد على أنها ستقع فيها دون جهد من جانبنا.. لا مانع من أن يكون الجامع منطقاً للحرية، لكنها تبقى رهينة عوامل عديدة أولها الوعي الجماعي. فمن ينظر إلى الجامع كما نظر إليه النيهوم؟ ومن يستطيع أن يجرده من قداسته وينزل الخطاب عن المنبر حين يزل لسانه بما لا يرضي الضمير ولا الشعب؟ لا أحد.

غير أن صدمة ما طرحه النيهوم لا تزال تتفاعل. فكثير من المثقفين اللاديين أنفسهم ينظرون على فتاعات تقديسية تمنعهم من التفاعل مع الجامع ويوم الجمعة بحرية وانطلاقاً. بل يبقى داخلهم يعتمل فيه وعي منطرب، ذكوري وتقليدي ومحافظ، رافض للحدافة من جذورها. مع أنه يعتمرها كقنعة أو يرتديها كتياب صممت في مراكز حضارية بعيدة.

مغامرة النيهوم في أعماله العديدة الفكرية أو الروائية منها، مغامرة بدأت معه، لكنه افتتحها وحسب، ولم يسدل عليها ستاراً من الأجوبة. كان بارعاً في طرح الأسئلة. ولم يجهد للعثور على يقينيات نهائية. غير أن تراث النيهوم تراث جدير بالتفكيك ليس كلما مرت ذكرى رحيله، بل في كل حين. فعلامات استفهامه ما زالت تتفجر أمام أعيننا كل لحظة. فالرزم الذي اشتغل عليه النيهوم، سيرسلونها إلى الجنة بطريقتهم هم. اعتقد النيهوم أن الجامع هو المرادف الموضوعي العربي لتمثيلات الحرية في الغرب. وهكذا بقي أصولياً رغم معارضته للأصولية. كتب يقول إن "الإسلام هو الموقف الوحيد للإنسان الذي يستطيع أن يرى منه حقيقة اتجاهه منذ أول لحظة، إن القرآن ليبدو حقاً نورا أضاء العقل الإنساني فجأة، وتركه يرى ما لم يكن يوسع من آفاقه، وإن ثقلة الحضارة القادمة سوف تتم في المكان الذي تقع فيه البيضة على أوسع نطاق ممكن.

وليس ثمة مانع واحد من أن تقع البيضة

إلى ذلك المؤتمر "يوم الجمعة" أعزل من كل تلك العناصر التي كانت تقويه وهو ذاهب إليه في الماضي. لن يجرأ على رفع صوته مقاطعاً الخطيب بأنه يقول كلاماً فارغاً، فهناك من ينتظره قرب المنبر أو على الباب. وإن لم يفعل رجال الأمن هذا، فسيتبرع مصلون كثر يجلسون بجانب المسلم ذاته، ليسلموه بانفسهم إلى سلطة أخرى موازية لسلطة المنبر.

حتى تلك اللحظة كان من سرق الجامع، هم رجال الدين والمتواظون معهم من رجال السلطة. لكن النيهوم لم يدر أن آخرين غيرهم سينهجون النهج ذاته، حين تتاح لهم الفرصة، لينقضوا على الجامع بدورهم. ومنه سيعيدون مشروع برمجة الناس وغسل أدمغتهم. إنهم شرائح من ضحايا الأسر الأول، الذي رسم ملامحه النيهوم بدقة وعناية. وهكذا لم يتغير شيء وزاد عدد السلطات سلطة نائمة، بعد رجال الدين والاستبداد. لتفرح مكنة المظلومية نمطا جديدا من المستبديين. وبيننا نرى المرشد يعطي منصات الحرية والديمقراطية ليعلن انتصار الثورات.

لربما كان فكر مليا في إضافة الية أكثر تعقيدا لما اقترحه حين اعتبر أن الإسلام هو من اكتشف مفهوم "الشعب". وبأنها هو من فكر؛ إذ لا يختلف اثنان على الدور الكبير الذي لعبه الإسلام في تحرير الناس من العبودية، لكن بعض ورقة الفكر لم يأخذوا الناس إلى آفاق أقل عبودية من سابقتها.

رأى النيهوم أن يوم الجمعة كان المؤتمر الشعبي العريق في تاريخنا. وهو لا يجانب الحقيقة في ذلك، حين كان يوم الجمعة جزءاً من ثقافة عامة محفوفاً بمفاهيم أخرى كالروعة والجرأة على قول الحق والتكافل الاجتماعي، لكن هذا كله لم يعد موجودا اليوم، فالمسلم يذهب

يقول "في المسجد أو خارجه، يستطيع المسلم أن يؤدي فريضة الصلاة. فالإسلام يعتبر الكرة الأرضية بأسرها مسجداً مفتوحاً للخلاوة مع الله. لكن ثمة فرائض أخرى لا يستطيع المسلم أن يؤديها إلا في مؤتمر إداري خاص، له سلطة أعلى من سلطة الدولة، ومسؤول إدارياً عن صياغة القوانين. فالجامع ليس هو المسجد. وليس مدرسة لتلقين علوم الدين، بل جهاز إداري مسؤول عن تسيير الإدارة جمعياً".

حتى تلك اللحظة كان من سرق الجامع، هم رجال الدين والمتواظون معهم من رجال السلطة. لكن النيهوم لم يدر أن آخرين غيرهم سينهجون النهج ذاته، حين تتاح لهم الفرصة، لينقضوا على الجامع بدورهم. ومنه سيعيدون مشروع برمجة الناس وغسل أدمغتهم. إنهم شرائح من ضحايا الأسر الأول، الذي رسم ملامحه النيهوم بدقة وعناية. وهكذا لم يتغير شيء وزاد عدد السلطات سلطة نائمة، بعد رجال الدين والاستبداد. لتفرح مكنة المظلومية نمطا جديدا من المستبديين. وبيننا نرى المرشد يعطي منصات الحرية والديمقراطية ليعلن انتصار الثورات.

لربما كان فكر مليا في إضافة الية أكثر تعقيدا لما اقترحه حين اعتبر أن الإسلام هو من اكتشف مفهوم "الشعب". وبأنها هو من فكر؛ إذ لا يختلف اثنان على الدور الكبير الذي لعبه الإسلام في تحرير الناس من العبودية، لكن بعض ورقة الفكر لم يأخذوا الناس إلى آفاق أقل عبودية من سابقتها.

رأى النيهوم أن يوم الجمعة كان المؤتمر الشعبي العريق في تاريخنا. وهو لا يجانب الحقيقة في ذلك، حين كان يوم الجمعة جزءاً من ثقافة عامة محفوفاً بمفاهيم أخرى كالروعة والجرأة على قول الحق والتكافل الاجتماعي، لكن هذا كله لم يعد موجودا اليوم، فالمسلم يذهب



إبراهيم الجبيني
كاتب سوري

حين كتب الصادق النيهوم أعماله الجريئة في وقت مبكر، كان الوعي العام في العالم العربي لا يزال يعتقد أن هناك مظلوميات عديدة تختبئ في الأتواء، هنا أو هناك، وملفات وصناديق سوداء مغلقة، لم يفتحها أحد حتى ذلك الحين. لكن الزمان تغير اليوم. فقد مرت عقود ثلاثة بعد أن قال النيهوم إن الجامع صار بيت السلطة، وأن الإسلام ليس الإسلام الذي عرفناه. اليوم وبعد أن رأينا دولة الخليفة المزعوم أبي بكر البغدادي "الملقبة" بالمنعني ما بعد الحديث للكلمة، والتي تستند إلى المنجز الحدائفي التقني العصري، من جهة، وتثبت الوعي عند موروث متوحش من جهة أخرى، بات من الصعب أن يكون النيهوم صوتاً وحيداً فريداً في صحراء من "اللغة الساكنة".

كان النيهوم يحذر من أن الأحزاب الدينية إن نجحت في تشكيل حكوماتها والبدء بمسار تطبيق الشريعة، فإن أبواباً جديدة للجنة ستكون قد فتحت. وقد كان محققاً في ذلك. كان كمن ينظر من نافذته إلى المستقبل.

كان ساحراً في تمييزه ما بين الجامع والمسجد، وأن مكان العبادة يختلف عن مجمع الآراء ومدارسها، وقبة الديمقراطية ذلك الزمان التي مثلها الجامع. وقد صوّق الناس كلام النيهوم بالفعل، فذهب كثير منهم ممن لم يكونوا يرتادون المساجد ليخرجوا في مظاهرات من الجوامع، حتى أن بعضاً منهم لم يكونوا من المسلمين أساساً، لكنهم اختاروا المكان الوحيد الذي كانت تسمح سلطات الاستبداد للناس بالتجمع فيه، لبرمجتهم والسيطرة عليهم. لم تشغل بال النيهوم مسألة مكان الصلاة، أي البيعة التي يتظاهر فيها ذلك الارتباط بالغييب. كان

الفيلسوف الذي ذهب وترك الأسئلة عارية

قرن حول البحث عن مكان ومكانة المسلم في الإسلام. وإذا كانت الآراء قد اختلفت حول فكره التنويري، فإنه استطاع أن يثق بتلك المعارف التاريخية الغابرة ويعمل على تفكيك رموزها التي جعلت منه مفكراً مختلفاً، وعن جدارة، في زمن "الفتوحات السياسية" التي صادرت حق "الشورى" في الجامع، من أجل ديمقراطية "البرلمان". وهي المعضلة السياسية التي قادته إلى الاختلاف عبر التاريخ، وكانت سبباً رئيسياً في ظهور ثقافة الأصولية الدينية ونشوب التطرف الإسلامي في المجتمعات الإسلامية.

ولقد رحل الصادق النيهوم عن دنيانا مبكراً قبل أن يصل إلى خاتمة مقاله البحثي في نقد "الفكر الديني" والمساهمة في تحرير الإسلام من الأسر. ولقد كان لغيبه قبل الفجر تحديداً، علامة فارقة في مشوار حياته وفكره، ومحض سؤال يتكرر في الوجود عن موضوع لم يكن يتكامل ولن يكتمل من الأساس.

اعتناقها للدين. ولقد كانت ثمرة بحثه الطويل في مقارنة الأديان هي "تحرير الإسلام" من سلطة الإسلاميين الذين جعلوه ممكناً لهم في الدنيا والآخرة، وعسيراً وصعباً على أمة الإسلام التي فقدت مبدأ الشورى في تاريخ الخلافة، وخسرت الديمقراطية في تاريخ السياسة.

ولعل "موضة الجامع" في نقاشها الموضوعي التي عرضها النيهوم في سلسلة فكرية من الطروحات النظرية، قد شغلته كما شغلت الكثيرين في ردودها المتباعدة أكثر من عشرين سنة، وهي "الموضة الفكرية" التي كانت تأسست نهاية الستينات مع نشر دراسته المشهورة آنذاك "العودة المحزنة إلى البحر".

لقد كان لحضوره الفكري العربي في مجلة "النقاد" التي بدأت مسيرتها في مجلة "المتعمرة" بمقالاته وانتهت بمقالاته، الأثر الكبير في ظهور مفهوم "النقد الديني" نتاج العقل

سالم الهنداوي
كاتب ليبى

إذا كانت الفلسفة في درجتها العلمية النظرية، مجرد تفسير للفكر والتاريخ، فإن الصادق النيهوم الذي امتحن حياة اللغات للبحث في أصولها ومعارفها الحاضرة والغائبة، ومن تخصصه النادر في "مقارنة الأديان"، كان الفيلسوف الذي ظهر في شمال أفريقيا في النصف الأول من القرن الماضي، ليبدأ الدنيا ضحجياً بأفكار لم تكن جديدة في حدائقها، كما لم تكن قديمة في معيشتها النظري والإنساني.

فهذا الفكر التنويري، بامتياز العقل والفكر، لم يكن استشرافياً في فكره، ولا شرقياً في معتقده الديني، ولا غربياً أيضاً في سلوكه الحياتي. كان مفتحياً للأرض وللإنسان، هنا وهناك، ومسلماً "علمانياً" يؤمن بان الحياة بمعناها الوجودي هي في

لقد كان لحضوره الفكري العربي في مجلة "النقاد" التي بدأت مسيرتها في مجلة "المتعمرة" بمقالاته وانتهت بمقالاته، الأثر الكبير في ظهور مفهوم "النقد الديني" نتاج العقل

يسلم بمعناها الوجودي هي في